إيران وأمريكا والوطن الإسلامي

مهما قيل في قضية (الشاه والسفارة الأمريكية في طهران) ومهما كان مآلها ووجهة النظر فيها ، فإن في مجـــرى الأحداث الأخيرة نقاطاً بارزة تستدعي التفكير والاهتمام

وقد يتفق المرء مع القول إنّ في مواقف قادة الثورة ما يتعارض مع القانون الدولي فللثورة -علـــى حـــد تعـــبير (بهيشيتي) أيضاً- قوانينها الخاصة بها .. وقد يتفق المرء أو يختلف مع هذه الصورة أو تلك من صور تطبيق الإسلام في حكم إيران وتوجيه أمورها الداخلية والخارجية .. إنما لا بد أن تكون نقطة اللقاء المشتركة على الدوام ، بين مختلـــف الأطراف الإسلامية في إيران وخارجها ، هي الاعتقاد بصدق الولاء للإسلام ، وصدق النوايا في تطبيقه ، وبأنه هـــو المنطلق بين مختلف الجهات داخل التيار الإسلامي الغالب والأقوى في إيران بعد الثورة

وربما وجد أصدقاء إيران والمتعاطفون مع ثورتها في أنحاء العالم بتأثير عامل (احترام الحصانة الدبلوماسية) أو بتأثير ضغوط الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها .. وجدوا أنفسهم مضطرين إلى السكوت عن تأييد إيران بل وحتى إلى الانحياز إلى واشنطون في إطار الأحداث الأخيرة ..

ولكن ..

هل بدأ مسلسل تلك الأحداث باحتلال السفارة الأمريكية في طهران ؟

وهل تقتصر أبعاد المعركة بين الطرفين على مسألة تسليم الشاه والإفراج عن الرهائن ؟

وهل اقتصر (خرق القانون الدولي) على الطرف الإيراني وحده ؟

وهل تعتبر إجراءات الحرب الاقتصادية والتهديدات العسكرية الأمريكية موجهة ضدّ إيران وحدها بالفعل ؟

وهل جاءت تلك الإجراءات والتهديدات نتيجة (احتلال السفارة) فحسب ؟

إذا صدقت الإجابات على هذه الأسئلة في أذهان المسؤولين في بلدان الوطن الإسلامي الكبير عامة ، وفي منطقـــة الخليج خاصة ، فسيتبينون من خلالها الكثير مما يفرض إعادة النظر في مجموع سياستهم الراهنة على الـــصعيد المحلـــي والدولي وتعديلها من الجذور ..

وإذا اتضحت الإجابات على هذه الأسئلة في ذهن كل مسلم مخلص ما بين الفليبين والصحراء الغربية عامة ، وما بين فلسطين ومضيق هرمز خاصة ، فسيتبين من خلالها دون ريب الكثير من معالم المعركة المفروضة علـــى الإســـلام والمسلمين في قرنهم الهجري الجديد ..

إنّ حادثة احتلال السفارة الأمريكية في طهران ليست حادثة قائمة بذاتها ، بل هي الذروة المقابلة لحادثـــة قيـــام المخابرات المركزية الأمريكية سنة 1954م بتدبير الانقلاب العسكري الذي أعاد الشاه من منفاه في روما ، إلى قمـــة سلطة الحكم الإرهابي الدموي الذي استمر بعد ذلك ربع قرن كامل ..

وإنّ صورة الرهائن المحتجزين معصوبي الأعين أحياناً ومقيدي الأيدي أحياناً أخرى ، هي الصورة المقابلة لوجـــه رئيس تلك المخابرات في إيران آنذاك تنقلها شاشة التلفزيون وهو يقول متبجحاً بأفعالها ، إنّ عملية الانقلاب كلفت أمريكا (60) ألف دولار فقط ! .. ومن وراء هذه الصورة التي رأتها الجماهير المسلمة ما بين دكّـــا وإســـلام أبـــاد وكالكوتا وحيدر أباد وإزمير والكويت وطرابلس الغرب .. آلافٌ من المشاهد غير المرئية في أقبية المخابرات المنتشرة في كل مكان ، ووراء (الكواليس) في معظم أنحاء الوطن الإسلامي ، كشفت ثورة إيران عن جزء يسير منها ، فتمثل في أيدٍ بُترت ، وأقدامٍ قُطعت ، وعيون فُقئت ، وأجساد تقرحت .. لا يزال أصحابه أحياء أو شبه أحيـــاء ، ووارى التراب عشرات الألوف من إخوانهم من شهداء المسلمين ، في هذا العصر الذي تتزعم أمريكا فيه الحديث عن (حقوق الإنسان والقوانين الدولية) في القرن العشرين ..

إن المواجهة العنيفة مع أمريكا عبر رموز (تسليم الشاه واحتلال السفارة) ، سواء فرضتها قوى معينة ، أم فرضت نفسها بمنطق الأحداث ، هي مواجهة أبعد مدى بكثير من تلك الرموز .. وإلا فلا يوجد شيء أهون على الطاغوت الأمريكي من (تسليم) أشد أتباعه إخلاصاً له ، مقابل إصبع واحد من أصابع قدم (إنسان أمريكي) يهدده خطر مـــن الأخطار ..

إنها المواجهة ، بين إرادة أمريكا وحلفائها وأتباعها أن يستمر النفوذ الأمريكي الرهيب في بلادنـــا الإســـلامية ، وإرادة أبناء إيران ومعهم أبناء المسلمين في كل مكان أن ينتهي هذا النفوذ الأمريكي ، ومعه كل صورة مـــن صـــور النفوذ الغربي أو الشرقي ..

ولو أن أمريكا لم تتزعم الغرب في استغلال خيراتنا ، واصطناع الانقلابات في بلادنا ، وتدعيم أنظمـــة حكـــم الطغيان فوق رؤوس أبناء شعوبنا .. لما وجدت في قلوب الملايين من المسلمين ما تجده اليوم من مشاعر متفجرة تتطلع إلى التحرر من نفوذها (ونفوذ قرينها الاتحاد السوفييتي) ، وإن أصرّت أجهزة الإعلام الغربية على تصوير تلك المشاعر المتفجرة بـ (الكراهية والنقمة والعداء) وضاعفت حملاتها ضدّ الإسلام نفسه من خلال ذلك كله ، لتعبئة الرأي العـــام ضدّ الإسلام والمسلمين

وليست مسألة (تسليم الشاه) بعد ذلك كله إلاّ رمزاً في المعركة الدائرة ، والتي لم تبدأ أبداً باحتلال السفارة واحتجاز الرهائن في طهران .. وليس امتناع أمريكا عن تسليم الشاه إلاّ نتيجة خوفها على نفوذها في قلوب أتباعها وعقولهم ، وبالتالي على مقدرات بلادنا وطاقاتها ومستقبلها .. أما الاحتجاج بـ (أسبابٍ إنسانية) فهو تعبير صارخ عن (الموازين) الأمريكية في تقويم الاعتبارات الإنسانية ، فالشاه لم يرتكب جريمة بحق (إنسان غربي) ! .. وإنما ارتكبت جرائمه التي لا ينكرها عاقل بحق (الإنسان المسلم) ، وشتات شتان بين (الإنسانين) في تلك الموازين ! ..

ووزارة العدل الأمريكية لا تمتنع اليوم عن اتخاذ الإجراءات لسحب الجنسية عن مواطن (أمريكي) اكتسب الجنسية قبل عشرين عاماً ، لأنه متهم بجرائم ارتكبها بحق (اليهود) قبل أربعين عاماً في العهد النازي .. وهذه الإجراءات تفرضها (الاعتبارات الإنسانية) ! .. أما مسألة تسليم الشاه .. فمسألة غير إنسانية في تلك الموازين ! ..

والحكومة الأمريكية سبق أن سلمت لفنزويلا في عهد الرئيس كنيدي رئيس فنزويلا المخلوع بانقلاب عسكري ، حتى بعد منحه حق اللجوء السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية ، ولم تجد في ذلك مانعاً دستورياً ولا أخلاقياً ولا قانونياً دولياً ، أما مطالبة إيران –قبل احتلال السفارة ومن بعد– بتسليم الشاه ، فأمر مرفوض .. دستورياً وأخلاقياً وقانونياً دوليا .. بل إنّ واشنطون امتنعت حتى عن الإجابة على مطالب حكومة بازرجان دبلوماسياً ، قبل احتلال السفارة وسقوط حكومة بازرجان ..

وما ميزان أمريكا الحقيقي في ذلك ، إلاّ أن فنزويلا بعد ذلك الانقلاب بقيت في إطار النفوذ الأمريكي ، أما إيران بعد إسقاط الشاه فقد خرجت عن مجموع لعبة تقاسم النفوذ بين المعسكرين ..

وإنّ هذا النفوذ الأمريكي الرهيب في بلادنا الإسلامية ، هو الذي يمكن واشنطون من توجيه الضربات إلى كل بلد على حدة ، وهو الذي مكنها من تصعيد مسألة (تسليم الشاه والإفراج عن الرهائن) إلى أزمة اقتصادية وعسكرية وسياسية تريد من خلالها خنق الثورة الوليدة في إيران .

وما كان باستطاعة أمريكا الاستغناء عن نفط إيران ، لولا الاعتقاد الْمُطَمْئِن باستمرار ضخ النفط إليها من البلدان الإسلامية الأخرى بكميات يزيد حجمُ عائداتها على حاجات تلك البلدان نفسها ، ويزيد قوة سلطان الشركات الأمريكية (العالمية) وأرباحها ..

وما كان باستطاعتها التجرؤ على تجميد أرصدة إيران الرسمية في المصارف الأمريكية وملاحقتها في المصارف الغربية الأخرى ، لولا الاعتقاد الْمُطَمْئِن باستمرار بقاء أرصدة الدول الأخرى في تلك المصارف ، واستمرار وجود استثماراتها في عجلة اقتصاد الغرب ، وأموالها في العقارات والمؤسسات المختلفة في بلدان الغرب ..

وما كان باستطاعتها الحيلولة دون انهيارٍ أكبرَ مما كان لسعر الدولار في الأسواق المالية ولمكانته في التجارة الدولية ، لولا التأكيدات المستمرة من جانب المسؤولين في بلدان إسلامية أخرى حول استمرار دعمهم للــدولار ، الــذي (يملكون بحسبهم !) عشرات المليارات منه في المصارف الأمريكية على شكل (أرصدة مضمونة) ! ..

وما كان باستطاعتها توجيه البواخر والطائرات والجنود باتجاه إيران إرهاباً لها ، لولا اعتمادها علــى قواعــدها العسكرية في عُمان والبحرين وتركيا ، وعلى نفوذها العسكري ونفوذ خبرائها في تلك البلدان وسواها حول إيران ..

ويمكن لهؤلاء المسؤولين أن يدركوا –مع الشعوب– ما يعنيه هذا كله ، إذا تحرروا من أغلال التفكير من منطلــق الخضوع للنفوذ الغربي ، وإخضاع البلاد وطاقات شعوبها لسيطرة النفوذ الغربي ..

وما كانت تلك الإجراءات والتهديدات موجهة ضدّ من يضمنون استمرار وجود ذلك النفوذ ، كما أنها لم تكن وليدة (أزمة استقبال الشاه وحجز الرهائن) ، بل كانت من قبل وستبقى من بعد .. موجهة ضــدّ إرادة الــشعوب المسلمة المتطلعة إلى التحرر من مختلف أشكال النفوذ للغرب والشرق ، ومن أتباع النفوذ الخاضعين للغرب أو الشرق ..

إنّ كل من يطالب إيران اليوم –من مختلف المنطلقات– بعدم خرق القوانين الدولية ، ولا يطالب أمريكــا بعــدم خرق هذه القوانين وبالرجوع إلى حدود بلادها وإنهاء نفوذها وما تمارسه من أعمال عبر هذا النفوذ .. وكــل مــن يطالب إيران بالتسامح (الإنساني والإسلامي) ، ولا يطالب أمريكا بعدم انتهاك مختلف (القــيم الإنــسانية والدينيــة والأخلاقية) .. وكل من يطالب إيران بعدم تحدي مشاعر الشعب الأمريكي والرأي العام الغربي ، ولا يطالب أمريكا بعدم الدوس على جراح الشعب في إيران وعلى الرأي العام الإسلامي في كل مكان ..

إنّ كل من يطالب إيران بالإفراج عن الرهائن كرمز لهذا كله ، ولا يطالب أمريكــا بتــسليم الــشاه كرمــز لاستعدادها للتخلي عن نفوذها وهيمنتها على إيران على الأقل .. إنما ينطلق في تفكيره ومطالبه مــن تــأثير أغــلال موازين (القوة الأمريكية) عليه ، وليس من موازين الحق والقانون والإنسانية وحدها .. ولا يخفى عليه هو نفسه ، أن تلك (القوة) هي العامل المسيطر على كثير من المعاملات الدولية الراهنة ، والموضوعة فوق سائر الاعتبارات الإنسانية والأخلاقية والقانونية

إننا لندعو المسلمين المخلصين في كل مكان للوقوف إلى جانب الحق والعدالة في معركة أبناء إيران المخلــصين ، الأكبر بكثير من نطاق الأحداث الراهنة ..

وإننا لندعو المسلمين المخلصين في كل مكان إلى خوض معركتهم الحقيقية المفروضة عليهم وهم علـــى أبـــواب القرن الهجري الجديد .. معركة التحرر من كل تبعية خارجية ، وكل استغلال سياسي واقتصادي وعسكري ، وكل سيطرة فكرية ومادية أجنبية

إنها معركة الوجود الإسلامي والسيادة الحقيقية للشعوب في كل مكان .. معركة يضع أعداء الإسلام ومـــستغلوه فيها كل قواهم لمنع المارد الإسلامي من رفع هامته ، وتكسير قيوده ، وتحرير إرادته ، وصناعة مستقبله بنفسه ، وحمل رسالة الحق والخير والهداية والعدل للبشر جميعا ..

وإنّ هذه المعركة يا طلائع الإسلام في كل مكان ، معركةٌ مصيرية تحتاج إلى الرجال المؤمنين المخلصين القـــادرين على خوضها وعلى قيادة الأمة الإسلامية فيها من نصر إلى نصر تحت لواء الإسلام المستقل المتميّز ..

معركةٌ سلاحها العقيدة والإخلاص ، وزادها الثقة بالله ونصره ، ومنارها العلم والوعي والخبرة ، وغذاؤها الصبر ومضاعفة الطاقات ، وغايتها مرضاة الله عزَّ وجلَّ ، ورفع كلمته في الأرض والخلـــق رغـــم الطواغيـــت الـــسابقين واللاحقين ، ورغم التابعين والمتبوعين ، ونهايتها بإذن الله .. تحقيق نصر الله الموعود .. ألا إنّ نصر الله قريب ..

ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون

ألا إنّ حزب الله هم الغالبون